# الدراسات الصوتية القديمة للغة العربية

د. فهد الميموني

## مقدمة

**يكاد الإجماع يصل إلى حدّ التسليم اليقيني أن أخصّ الخصائص التي تُميّز البشرَ عن سائر الموجودات هي النطق والبيان، فمنذ ظهور الكتابات لدى الأمم كالكتابة المسمارية عند السومريين، أو الهيروغليفية عند المصريين، إلاّ وانبثَقَتْ من خلالها محاولاتٌ لتقريب الصور والحقائق والوقائع إلى الآخر.**

**ولم يمض على تلك الكتابات إلاّ اليسير حتى تطورت؛ عساها تصبح الوسيطَ الإخباري بين الملقي والمتلقّي؛ بصرف النظر عن زمانهما ومكانهما، مع أن الإنسان القديم ليستْ لديه تلك الطموحات التي تدفعه ليحفظ وقائع تاريخه، وإنما هو الفضول الذي جُبل عليه البشر في محاولة توظيف أركان المعرفة (العقل، السمع، البصر) وهي التي قد امتنّ الله تعالى بها بعد إخباره عن أصل الإنسان أنه صفحة بيضاء خالية من العلم ما لم يستعمل تلك النِّعم الجالبة للمعارف، ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].**

**والفلاسفة الأقدمون مع محاولاتهم المتكررة لطرق الموضوعات الميتافيزيقية التي ليس لها ضابط يجمعها؛ قد نَبَشوا بدراساتهم جملةً من خصائص الإنسان، مما جعلهم يقرّرون بأن موضوع النطق هو من بين السمات البارزة الشاغلة لحيزٍ كبير في المباحث الوجودية أو الوظيفية أو الانفعالية.**

والإنسان على اختلاف أبعاده الاجتماعية والسياسية والسلوكية يجد أن المحور المؤثِّر إنما هو النطق، أو تلك الأصوات المتنوعة في نبراتها وصفاتها، وإنْ كان في الحقيقة ذلك الجهاز الصوتي واحداً بين كل البشر، غير أن المِراسَ الأبدي يُلجِئ المتحدّث إلى إعمال مخرج ما، وإهمال آخر، مما يجعل الأجيالَ المتصاعدةَ خاضعةً لكيفيات أداء آبائهم، وقد تكون لدى بعضهم نزعة توثيقية، فيحاول لَمْلَمة أحداثه في أدوات التوثيق المتاحة في كل عهد، وإن استطاع الحفظ بالذاكرة –كما هو الواقع لدى العرب– فهو كذلك ضرْبٌ من التوثيق، لأن الحفّاظ يتناقلون ما يَعُونه، ويَنسبون ذلك إلى قائله، مهما بعدت أطراف الأرض، ومهما تشعّبت أسانيد المنقول.

وهذا التراث الخالد الذي يفخر به كل عربي حينما يرى هذه الخزائن الْمَلْآى التي اكتظّت بها مكتبات العالم؛ لَحقيقٌ بالتأمّل، وجدير باستبصار ينبوع فُيوضه، حيث تتلاقح الأفكار، وتتداخل التخصصات المتنوعة من تاريخ وطب وفلَك ولغة وعقائد...، ومع ذلك يستشعر المطّلع أن ما يراه إنما هو غيض من فيض، إذْ تاريخُ البشرية لم يوثّقْ مما فرزتْه العقول سوى نزرٍ يسير، وغالب ما نراه هو ذلك النّتاج المعرفي الحاصل بالحديث والخطاب والنقل والردود والنقود، وكلّها لم تكن لولا أعجوبةُ الصوت الإنساني الذي يتناغم في طرح العلوم واستجلاء خباياها.

والدرس الصوتي عند العرب الأقدمين ارتبط بادئَ الأمر بصناعة الشعر، والخطابة، والأراجيز في الْحُداء، لكون النظم والبراعة في التصوير الفني والتخييل الإبداعي بالألفاظ الموزونة والمقفّاة؛ معياراً يَعدّه الفصحاءُ شرطاً للانضمام إلى سِرب طبقات فحول الشعراء الذين يَعتبرهم المجتمعُ وسيلةً ترفيهية، مع ما لها من دور عظيم في حفظ التاريخ والذب عن الأعراض، والفخر بالأحساب.

ولعلّ جمالية القصيدة إنّما تستسقي روعتها من حُسن توظيف الأصوات، سواء في الرويّ أو المحسّنات البديعية، وليس ببعيد القول بأن الصوت هو الأداة الوحيدة في العهد القديم التي يحرصُ عليها البشر، إذْ هي الدليل الوجودي لتعلّقها بحاسّة السمع من جهة، والذوق البياني من جهة أخرى، كما أن الصوت هو وسيلة الإقناع بيَدِ الشاعر الْمُفْلِق، والخطيب الْمِصقاع،


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

والمبلِّغ المفوَّه، وأولئك هم أهمّ ركائز الإيالات السابقة في المجتمعات. ويعتبر هذا البحث (الدراسات الصوتية القديمة للغة العربية) طرْقا لعلاقة اللغة بعدة ثوابت إنسانية وهي: (التاريخ، والطب والتشريح، والثقافة، والإعلام) إلى جانب اقتراح حلول دقيقة للنهوض بالدرس اللغوي في العصر الراهن نتيجة استنباطها من جهود العلماء السابقين في دراساتهم للصوت الإنساني. ويتكوّن هذا البحث من فصلين وخاتمة، ويشتمل كل فصل على مبحثين، فأما الفصل الأول فتناول الصوت الإنساني عبر التاريخ وارتباطه بخصائص الإنسان، مع ذكر جملة من الدراسات الصوتية قبل عصر تدوين العلوم، وأما الفصل الثاني فركّز على الدراسات القديمة للصوت، سواء تعلق الأمر بالمؤلفات التي تضمّنت علوماً أخرى، أو تلك المصنّفات المفردة التي خصصها أصحابها للدرس اللغوي بشكلٍ محض.

## الفصل الأول: الصوت الإنساني عبر التاريخ

### • المبحث الأول: خاصية النطق الإنسانية

من العجيب أنّ أول حَدث يقع من الإنسان هو الاستهْلالُ صارخاً حينما يُولد، حتى إن الفقهاء ربطوا به كثيرا من الأحكام المتعلقة بحياته وإرثه، بل التطورات التي تلحق ذلك الصوتَ العفويّ في نظر بعضهم ما هي إلاّ تعديلاتٌ وتقويمات يتّبع فيها والدُ الطفل النمطَ اللغوي الخاصّ بلسانٍ ما، أو لهجةٍ منبثقةٍ من أمّهات لغات العالم، كما أن من العجيب أن خاصية الصوت لدى الإنسان تميّزه عن سائر الخلْق من جهة، وفي الوقت نفسه يحقق له صوتُه تلك البصمة الخاصة التي يتميز بها عن بني جنسه، وهو ما استُنبط من قوله تعالى ﴿واختلاف ألسنتكم﴾ [الروم٢٢].

ذلك أن الإنسان هو المتمدن الوحيد بالطبع، والتوحُّش دَأْبُ السباع، فلا بدَّ له من أن يدلَّ على محل حاجاته وعلى مَقْصوده وغَرضه، لذا وظّف الأصوات ووضع الكلامَ ودلالاته، إذ اللسان أسرعُ الأعضاءِ حركة وقبولا للترداد، وهذا الكلام إنما هو حرفٌ وصوتٌ، وجزؤوه على حركات أعضاءِ الإنسان التي يخرج منها الصوت، وهو من أقصى الرِّئة إلى منتهى الفم فوجدوه تسعة وعشرين حرفا لا تزيد على ذلك، ولا يحصل له المقصود بإفرادها فركبوا منها الكلامَ ثُنائيّاً وثلاثيا ورباعيا وخماسيا وزادوا وألحقوا عند الاقتضاء أو الضرورة١.

ويبدو أن خاصية النطق عند الإنسان عمليةٌ مركبةٌ معقّدة، سواء من حيث الجهاز الصوتي الموصول بالوترَيْن، أو بعضلة اللسان الضابطة لمقادير الهواء والهزّات والنبرات، أو الجوف والحنجرة والحلْق التي هي قوالب لسلالم الأصوات. ومن المسلّمات عند علماء الأصوات أن "درجة صوت المرء على حسب سِنّه وجنسه، فالأطفال والنساء أحدُّ أصواتاً من الرجال، لأن الوترين الصوتيين في الأطفال والنساء أقصر وأقلّ ضخامة"٢، وتوظيف الصوت هو أحد أركان اللغة، التي تنقسم "إلى عناصر ثلاثة هي: الأصوات والصيَغ النحوية والكلمات"٣، وإنّ كلا من علم الأصوات وعلم الفونيمات إنما يتناول -في المحل الأول- وصف الأصوات أو الفونيمات الموجودة في لغة حية يتكلمها متكلمون أحياء، مع وجود مصطلحات تتعلق بالتحولات التاريخية التي نمت في الماضي سواء كانت صوتية أو فونيمية، وإن كانت هذه المصطلحات لا تستعمل في الميدان الوصفي إلا قليلا٤.

ومن البدهي أن خاصية الصوت هي عينها اللغة، والدراسات اللغوية مآلها المدخل إلى "دراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة، ويتناول ذلك تشريح الجهاز الصوتي لدى الإنسان، ومعرفة إمكانات النطق المختلفة الكامنة فيه، ووصف أماكن النطق ومخارج الأصوات في هذا الجهاز، وتقسيم الأصوات الإنسانية إلى مجموعات، تظهر في كل مجموعة منها خصائص معينة، ودراسة المقاطع الصوتية، والنبر والتنغيم في الكلام، والبحث عن القوانين الصوتية التي تكمن وراء إبدال الأصوات وتغيرها. كل ذلك يتناوله فرع خاص من فروع علم اللغة، وهو: علم الأصوات"٥.

ويبدو من اختلاف أغراض الإنسان في الكلام أنه يجعله يوظّف كثيرا من السمات الصوتية، كمثل التناغم بحسب المشاعر، ومحاولة استشعار الآخر بوجود النَّبر، والتفاعل مع التنغيمات في الكلام المسموع دون المكتوب يجعل الأول أقدر في الكشف عن ظلال المعنى ودقائقه من الثاني، ولقد حاولتْ الكتابة أن تستعيض عن التنغيم بالترقيم، ولكنها لن تعوض النَّبر بوسيلة أخرى، ولم يحاول الكاتبون ذلك، لهذا كانت دراسة الكلام المنطوق المسموع مقدمة لا بُدَّ منها لدراسة القواعد اللغوية، أو بعبارة أخرى: لدراسة اللغة نفسها، وأصبح علم الأصوات تمهيدا

بالملاحظة الحسية لإنشاء علم الصوتيات الذي هو تخطيط عقلي لقواعد الأصوات، بناءً على هذه الملاحظة الحسية٦.

والعامل الأكبر لرقيّ لغة الإنسان وبلوغها ما بلغت، هو ما امتاز به هذا المخلوق من ذكاء لم يشركّه فيه غيره من الحيوانات، فكثير من الحيوانات تعيش حياة اجتماعية، ولها من الحناجر ما تستطيع به التصويت بأنواع متباينة من الأصوات، ولكنها لم تستطع أن تنطق كما نطق الإنسان؛ لأنها لم تُوهب القدرة العقلية الكافية لتكوّن من الأصوات لغةً لها، فلا غرابةَ إذن أن سَمّى القدماءُ الأنسانَ حيواناً ناطقا، مريدين بهذا أنه حيوان ذكيّ ذو قدرة عقلية خارقة٧، ثم إن "الأعضاء التي جرى الاصطلاح على تسميتها أعضاء النطق، لا تنحصر وظيفتها في إحداث الأصوات، بل إن لها وظائف حيوية أخرى، ويوجد لدى كل حيوان جهاز يماثل أو يقارب الجهاز النطقي لدى الإنسان، غير أن الإنسان استخدم ذكاءه على توالي الأيام والعصور، فاستطاع أن يكيف جهازه الصوتي في أوضاع مختلفة، مع إخراج الهواء من الرئتين، فأنتج بذلك أصواتا مختلفة المخارج والصفات، يتألف منها كلامه الإنساني"٨.

ويعرف علم الأصوات بأنه الدراسة العلمية للحدث الكلامي Speech event دون الإشارة إلى معناه، وتقتضي هذه الدراسة العلمية تفتيت الحدث الكلامي وتحليله إلى عناصره المكونة له، عبر مراحل أساسية، بدءاً بجهاز النطق وحركاته التي ينتج عنها الصوت اللغوي، وهو ما يختص به علم الأصوات الفسيولوجي Physiological Phonetics، ثم بدراسة انتقال الصوت أو علم الأصوات الأكوستيكي acoustic phonrtics، ثم بدراسة استقبال أذن السامع للصوت اللغوي، ويختص به علم الأصوات السمعي Auditory Phonetics٩.

## • المبحث الثاني: الدراسات الصوتية القديمة عند غير العرب

من الصعب الجزم بالدراسات الصوتية الأولى عند الأمم، ذلك أن الصوت هو قضية مشاعة بين العالمين، وحتمية التأثير والتأثر بين اللغات قائمة لا محيص منها، رغم أن "التفكير اللغوي بدأ مرتبطا بالفلسفة، وكان أقدم ما وصلنا من أبحاث اليونانيين يرجع إلى حواليّ القرن السادس قبل الميلاد على أيدي السوفسطائيين، وبعد ذلك نجد سقراط يُدلي برأيه في بعض مشكلات اللغة ويليه أفلاطون وأرسطو"١٠، والمادة الصوتية المأثورة عن اليونان نجدها في أقوال متناثرة في محاورات أفلاطون، وفي الشعر والخطابة لأرسطو، ونجد أكثرها في كتابات نحوييهم مثل ديونيزيوس ثراكس، ودونيزيس هاليكارناسوس. أما الرومان، وهم مقلدون في هذا الميدان؛ فنجد جانباً كبيرا من المادة الصوتية المأثورة عنهم في كتابات نحوييهم مثل بريسكيان، وترنتيانوس، وماوروس فيكتورينوس١١.

ومن الجدير بالذكر أن التباحث في قضية أصل اللغات قد جعل الدرس الصوتي ينكمش عند القائلين بالتوقيف مثل أفلاطون وطائفة من علماء المسليمن، لأنّ التسليم للرأي القائل بأن اللغة منزّلة يجعل الفكر محجورا بقناعة الغيب القبلي، خلافا للقائلين بأن اللغة اصطلاحية حيث ينجذبون وراء تتبع خصائص اللسانيات، وتحليل المؤثرات الطبيعية على كل لغة مستقلة، كما يلاحظ على الآراء الصوتية لقدماء اليونان والرومان أنها تقوم في جملتها على ملاحظات الآثار السمعية التي تتركها الأصوات في الأذن، وهي بهذا تختلف عن الآراء الصوتية لقدماء الهنود والعرب الذي أدركوا الأسس "الفسيولوجية" في تكوين الأصوات المختلفة. واعتنى الفلاسفة اليونانيون بالدرس الصوتي، من خلال التباحث في أصل اللغات، كما هو الشأن عند سقراط، وعند المصريين في القرن الثالث قبل الميلاد في شروح أشعار هوميروس،١٢ بيد أن الدراسات الصوتية القديمة قد ظهرت بشكل بارز في مجال المعاجم على يد الفلاسفة السوفسطائيين، مثل معجم (orion) ومعجم (Helladius) ومعجم (Ammonius).كما أن الدراسات الصوتية السريانية قد استفادت من الدرس الصوتي عند اليونانيين، مثلما يبدو عند يعقوب الرهاوي في نهاية القرن السابع الميلادي، وهو أول من وضع النحو للسريانية، وتحدث عن الصوائت كما ذكر ذلك (William reit) من خلال الصفحات القديمة من كتاب يعقوب في المتحف البريطاني. بالإضافة إلى الكتب القديمة عند اليهود ككتاب (شرح كتاب الخليقة) لسعيد الفيومي في منتصف القرن العاشر ميلادي، وبهوذا بن حيوج مؤلف دراسة فونولوجية تعالج العلل والسواكن والتغيم والنبر والمقطع (Literary history of Hebrew)، وقد استدرك عليه أبو الوليد بن جناح القرطبي بكتابه (المستلحق) ورسالة (التقريب


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

والتسهيل)١٣. وتجدر الإشارة إلى أن المصريين قد برعوا في الدراسات الصوتية خاصة مع حلّ إشكاليات الهيروغليفية والخط الديموطيقي بعد العثور على (حجر رشيد) سنة ١٧٩٩م، والذي كُتب ١٩٦ ق م، وهو محفوظ حاليا في المتحف البريطاني، وأفادت الدراسات العريضة عنه أن "بنية الكلمة في اللغة المصرية لا تقوم على أبجدية، وإنما تقوم على علامات تُعطي القيمة الصوتية لحرف واحد، وأخرى لاثنتين، وثالثة لثلاثة، وفي عام (١٨٢٢م) أكّد (شامبليون) استخدام المخصصات في نهاية المفردات لتحديد معنى الكلمة"١٤. ونرى أن اليونان والرومان والهنود وكذلك العرب صنفوا الأصوات إلى صامتة وصائتة، وذلك هو المدخل لتفكيك الأصوات الإنسانية التي يعبر بها البشر عن أغراضهم، وأطلق كلٌّ من اليونان والهنود اسما خاصا على كل من هاتين الطبقتين، فاليونان قد سموا ما نعرفه بالصامتة Sumphena، وسموا ما نعرفه بالصائتة phoneenta. ويلاحظ أن اليونان في لغتهم الأمّ، والهنود في لغتهم السنسكريتية قد عرفوا "الصامت" بأنه الصوت الذي لا يتأتى نطقه دون "صائت"، أي أنه "غير مستقل"، بل معتمد على غيره. وعرفوا "الصائت" بأنه الصوت الذي يمكن نطقه وحده فهو مستقل. ويقوم تصنيف اليونان والرومان على ملاحظة الآثار السمعية للأصوات لا على أسس فسيولوجية كالتصنيفين الهندي والعربي. والتصنيفان اليوناني والروماني تنقصهما الدقة الواجبة في هذا المجال، أما التصنيفان الهندي والعربي فيقومان على فحص وظائف أعضاء النطق، وعلى تحديد مواضعها بالنسبة لكل صوت، وعلى درجة اتصالها. وثمة تشابه كبير بين تصنيف الهنود لأصوات السنسكريتية حسب "المخارج" وبين تصنيف العرب لأصوات العربية على هذا الأساس، ومعروف أن التصنيف الهندي أقدم كثيرا من التصنيف العربي. ومن مظاهر التشابه أن الهنود يرتبون الأصوات ابتداء من أقصاها في الحلق إلى الشفتين ثم يذكرون الأصوات الأنفية، وهذا الترتيب هو الذي نجده عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، وعند سيبويه، وهو الذي سار عليه المؤلفون العرب من بعد. وقد أثر عن كل من اليونان والرومان والهنود والعرب تصنيف لأصوات لغتهم حسب "طريقة النطق" على خلاف بينها في التفصيلات وفي الأسس التي يقوم عليها كل منها١٥. ونجد ابن النديم لما ذكر كتاب الحروف نصّ أنه على ترتيب حروف اليونانيين وأوله الألف الصغرى، ونقلها إسحاق، والموجود منه إلى حرف (مو) ونقل هذا الحرف أبو زكريا يحيى بن عدي، ونقل أبو بشر متى مقالة اللام بتفسير الإسكندر وهي الحادية عشرة من الحروف إلى العربي ونقل حنين بن إسحاق هذه المقالة إلى السرياني وفسر ثامسطيوس لمقالة اللام، ونقلها أبو بشر متى بتفسير ثامسطيوس وقد نقلها شملي، رأيتها مكتوبة بخط يحيى بن عدي في فهرست كتبه١٦.

## الفصل الثاني: الدراسات الصوتية القديمة

### • المبحث الأول: الدراسات الصوتية المندرجة ضمن علوم شتّى

الشخصية العربية ذات حس مرهف، وأذن دقيقة، وتذوّق درّاك للعبارات، وفطنة حادة، وذاكرة وقادة، وكل ما يحيط بالإنسان العربي نجده قد سمّاه بكمّ هائل من السمات ينتقيها الواصف حسب ما يرى عليها من ملابسات أو يختلج أحاسيسه من خواطر ومتغيرات، ولعل الصوتيات هي من أسمى ما يسعى العربي لنقلها وتوريثها لأبنائه، أو تخليدها بإيرادها في محافله بين خلاّنه وأقرانه.

ومن المناسب قبل جرد الدراسات الصوتية التي تضمنتها المصنفات في العلوم المتنوعة أنْ نذكر حقيقة تاريخية نجلّي بها هذا المبحث من حيث ارتباط التأليف في الدراسات الصوتية بادئ الأمر برواية الشعر عند العرب وكونه أحد الروافد الاستدلالية، والمكامن التاريخية، التي ماتزال شاهدا لا يضاهى في حفظ مآثر العرب، وتصوير معاشهم وعوائدهم. بل تعتبر الأشعار المنقولة قبل الإسلام دليلا على حرص أهل الجزيرة على ذلك النمط العجيب في الخطاب، وهو الشعر، ديوان العرب، وميزان الطرب، الذي يعدّ من حيث الجملة أول توثيق للدراسات الصوتية، لأن الأشعار المنقولة يحكمها قانون النقد الجبلّي لدى الملهمين من فحول الشعراء، ويستشعر روعتها الحفاظ الوعاة الممارسين لعلم الأوزان والألحان.

وإذا كان الشعر والنغم والخطابة بعضاً من فروع الدراسات الصوتية فإن العرب قد بلغوا في البراعة فيها شأوا لم يعرف عند أمة قبلهم، حتى إن الناظر في ثمرات الدراسات الصوتية يجزم بأنهم قد بَنوا في هذا العلم -لا سيما بالشعر- الأسس الأولى التي انطلقت منها الدراسات الصوتية، وذلك من وجوه:

١- دمج قانون النغم وقانون أوزان الشعر في النظم.
٢- بناء القصائد على الرويّ الذي يمثل البؤرة الصوتية الموحّدة.
٣- توظيف التخييل والتمثيل في الأشعار للمزج بين علم النفس وعلم الصوت.
٤- تشخيص الألفاظ الدالة على الأصوات بما يناسب الطبائع، كقول عنترة بن شداد

**"أسمعاني نغمةَ الأسْـ**
**ـياف حتى تُطرباني**
**أطيبُ الأصوات عندي**
**حُسْنُ صوْتِ الْهِنْدُواني**
**وصريرُ الرُّمح جهراً**
**في الوغى يومَ الطِّعانِ**
**وصياحُ القـوْم فيه**
**وهْو للأَبْطال داني"**١٧.

٥- تضمين الأشعار مصطلحات صوتية سواء باللفظ العربي أو المعرب أو بلفظ غير عربي، كقول عبد يغوث الحارثي (٤٣، ق هـ):

**"أَحَقًّا عِبَادَ اللهِ أن لست سامعا**
**نشيد الرُّعَاء الْمُعْزِبينَ الْمَتَالِيَا**
**وأَنْحَرُ للشَّرْبِ الكرَام مَطِيَّتِي**
**وأَصْدَعُ بَيْنَ الْقَيْنَتَيْنِ رِدَائِيَا**
**وكنْتُ إذا ما الْخَيْلُ شَمَّصَهَا القَنَا**
**لَبِيقاً بتَصْرِيفِ القَنَاةِ بَنَانِيَا"**١٨.

ويندرج هنا قول الشافعي في ديوانه مورداً (الدوكاء) وهو مقام غنائي فارسي، بغض النظر عن قضية زمان الاستدلال:

**"وصريرُ أقلامي على صفحائها**
**أحلى منَ الدُّوكاء والعشاقِ"**١٩.

ويذكر أهل الأخبار أن أنواع الغناء بما جلب من فارس والروم، فغنوا الغناء المجزأ المؤلف بالفارسية والرومية، وغنوا جميعًا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير، وذكر أيضًا أن الغناء قديم في الفرس والروم، ولم يكن للعرب قبل ذلك إلا الحداء والنشيد، وكانوا يسمونه "الركباني"، ونوع آخر "الترنيم"، وهو تطريب الصوت، ويستخدم في الغالب في التلاوة، فقد كان الجاهليون يرتلون أغانيهم الدينية أمام أصنامهم، كما فعل ذلك اليهود والنصارى ويترنمون بها. وتصحب هذه الترانيم آلات موسيقية لتعزف الألحان المناسبة الموافقة لها. وقد كان الجاهليون يرجعون الشعر، بأن يقرأونه على الألحان والتطريب والإيقاع ليؤثر في السامعين٢٠.

وبخصوص علم الآثار وتعلقه بالدراسات الصوتية، فقد عثر حديثًا على آثار في إمارة أبوظبي وفي مواضع أخرى من سواحل الخليج، تقدم لنا علمًا جديدًا عن لهجات عربية قديمة لا نعرف اليوم من أمرها شيئًا، وبذلك يتسع علمنا عن لهجات العرب قبل الإسلام، وقد نستطيع بواسطتها الوقوف على كيفية تطور اللغة العربية وعلى حصر المواضع التي كان سكانها يتكلمون بها، أو بلهجات قريبة منها، خاصة السامية منها، لأن من أهم الموضوعات التي يجب توجيه العناية إليها، موضوع: علم الأصوات "phonology" بالنسبة إلى اللغات السامية، مثل دراسة مخارج الحروف، والحركات، والإمالة، والتفخيم، والإشمام في العربية على وجه خاص، ثم دراسة صرف هذه اللغات "morphology" مثل جذور الألفاظ التي يغلب عليها الطابع الثلاثي "triconsonantal" المكون من الحروف الصامته٢١.

ويرى جمع من الباحثين أنه بالرغم من وفرة الدراسات اللغوية إلاّ أن فرعًا مهمًّا من فروع علم اللغة قد أهمل وهو علم الأصوات، ولعل السبب في ذلك أنه لم تخصص في القديم أعمال مستقلة للدراسات الصوتية، فهذا هو الخليل بن أحمد يعرض لها في مقدمة كتاب العين، وسيبويه يلحق دراساته الصوتية بآخر بحوثه اللغوية، فصارت كما لو كانت شيئًا إضافيًّا أو تذييلا لجملة أعماله. بالإضافة إلى أنه جاء على اللغويين وقت أهملوا فيه النظر في أصوات اللغة نظرًا جادًّا، وتركوا أمر هذه الدراسة إلى علماء التجويد والأداء القرآن، ظنًّا منهم أنها دراسة خاصة بهؤلاء القوم٢٢.

ومن الملاحظ أن الدراسات الصوتية قد طرقتْها كافة التخصصات، فبعد الإشارة إلى الشعر والغناء وآثار الحفريات، يكون من المناسب ذكر جملة من العلوم التي تم خلالها خوض الدرس الصوتي عند الإنسان، انطلاقا من علم الطبيعيات على يد أبي علي بن سينا في جملة من كتبه، فذكر في كتابه (الحيوان) الفرق بين الكلام والتصويت، وخاصية تقطيع الحروف عند الإنسان، وجملة من نوادر الحيوانات في موضوع الصوت٢٣، وفصل الحديث عن متعلقات الصوت في كتابه القانون مبوّبا له بالفن العاشر أحوَال الرئة والصدر، وهو خمس مقالات: المقالة الأولى الأصوات والنفس، فصلٌ في تشريح الحنجرة والقصبة والرئة، الصوت فاعله العضل التي عند الحنجرة بتقدير الْفَتْح وَيدفع الْهواء المخرج وقرعه وآلته الحنجرة والجسم الشبيه بلِسان المزمار وهي الآلة الأولى الحقيقية وَسائر الآلات بواعث ومعينات وباعث مادته الحجاب وعضل


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الصدر ومؤدّي مادته الرئة ومادته الهواء الذي يموج عند الحنجرة٢٤.

وخاض جمع من المؤلفين الدرس الصوتي في مبحث الإلهيات والعقائد لا سيما بعد اشتهار قضية الحرف والصوت وارتباطها بماهية الكلام القرآني، فنرى القاضي عبد الجبار يؤصل للصوت أنه يختلف بحسب الوجه الذي يحدث عليه، مشيرا إلى مقاطع النطق،٢٥ وفي الطرف الآخر نرى بعض المؤلفات قد وُضعت لتقرير إثبات الحرف والصوت الإلهي دون الخوض في كيفيته ودون معارضة وجه المنطوق في الوحي الرباني، نحو صنيع الجويني الأب في رسالته٢٦، وأبي نصر السجزي٢٧، وكلاهما من معاصري القاضي عبد الجبار الذي أبان عن حقيقة الكلام في كتابه شرح الأصول الخمسة أنه الحروف المنظومة والأصوات المقطعة٢٨.

ومن العلوم التي اقتحمت الدرس الصوتي عند المتقدمين؛ علم الفلك والتنجيم، وقد يعبر عنه بخواص الحروف والأصوات، أو علم الحروف والأسماء، وهو علم باحث عن خواص الحروف إفراداً وتركيباً، وغايته التصرف على وجه يحصل به المطلوب إيقاعاً وانتزاعاً، وقال ابن خلدون في المقدمة عنه أنه علم أسرار الحروف، وهو المسمى لهذا العهد بالسيميا، نقل وضعه من الطلسمات٢٩، ولعل الأمر متعلق بمذهب الفلاسفة، بدليل قول الشاطبي: علم الحروف: وهو الّذي اعتنى به البَونيّ وغيره ممّن حذا حذوه أو قاربه. فإنّ ذلك العلم فلسفة ألطف من فلسفة معلّمهم الأوّل، وهو أرسطا طاليس، فردّوها إلى أوضاع الحروف، وجعلوها هي الحاكمة في العالم٣٠. ولعل أقرب مثال تطبيقي لهذا العلم هو ما ذكره ابن برجان أن القدس ستفتح سنة (٥٨٣هـ) وقد توفي ابن برجان (٥٣٦هـ) وذكر ذلك في تفسيره لسورة الروم: "ثم أديلوا بغلبة ثانية عام تسع وثمانين وأربعمائة، فغُلبوا على أرض الشام كلها وعلى بيت المقدس؛ وذلك عند آخر السنة السادسة التي هي من ألف شهر ومن شهور العرب، تصديقا لقوله في ﴿بضع سنين﴾ التي سادس أيامها رأس الخمسمائة سنة، ثم إلى تمام الخمسمائة وثلاث ثمانين وثلث السنة تمام سنينها ونحن في عام اثنين وعشرين وخمسمائة٣١.

## • المبحث المبحث الثاني: الدراسات الصوتية المفردة

إن الفنون العربية على تشعبها ليس لها سبيل إلى الوجود والاستمرار إلا عن طريق الدرس الصوتي الذي استطاع تقريب كافة التخصصات اللغوية والشرعية، مع ملاحظة أن شطرا كبيرا من لغات العرب قد اندثرت أو على الأقل كادت، لأن "لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه"٣٢. والدراسات الصوتية للغة العربية عند المتقدمين قد انطلقت بادئ الأمر لخدمة القرآن الكريم نقطا، وضبطا، وترتيلا، وتفسيرا، وقراءات، إلى جانب البحوث المساعدة من نحو وتصريف وبلاغة، ولذا ارتأيت ترتيب تلك الدراسات حسب تاريخها، واعتبار الدرس الصوتي وكتب الحروف٣٣ الركيزة الرئيسة لسرد المصنفات:

١- كتاب الهمز لأبي بحر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت١١٧هـ)، وهو من ألف في أصوات الحروف، وبحث الهمزة، بتصنيف خاص، لكونه عالما بالقراءات عارفا بأن للهمزة أحوالا متباينة وطرائق في الأداء متشعبة، غير أن كتابه مفقود، ولم نظفر في عصرنا بكتاب الهمز سوى كتاب أبي زيد الأنصاري (٢١٥هـ) الذي حققه الأب لويس شيخو اليسوعي. ونجد أبا زيد يدرس الهمزة من الناحية الصوتية وبحسب موقع الهمزة فيقول مثلا: "غير أن النئيت أجهرها صوْتا"٣٤.

٢- مقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، وهو من دون شك المصدر الأول لكل اللغويين والمجودين في علم الأصوات وصفات الحروف، وقد برع في صياغتها، حتى احتوت المتن الأوفى للدرس الصوتي في كلام العرب، كقوله: "والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم. أي مفرج الفم، والصاد والسين والزاء أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مُستدق طرف اللسان. والطاء والتاء والدال نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى. والظاء والذال والثاء لثوية"٣٥. وليس أمر الدرسات الصوتية مقتصرا على مقدمة العين، فإن في ثنايا الكتاب دررا صوتية، سبقت إليها قريحة الخليل، مثل ما يذكره أثناء تعريفه لحروف المعجم، كقوله: "الحاء: حرف هجاء مقصور موقوف، فإذا جعلته اسماً مددته. تقول: هذه حاءٌ

مكتوبة. ومدتها ياءان. وكل حرف على خلقتها من حروف المعجم"٣٦.

٣- كتاب الحروف للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، وهو رسالة في معاني حروف المباني، كقوله (التاء) البقرة التي تُحلب٣٧، و(الكاف) الرجل المصلح للأمور٣٨، ولم يذكر فيها علم الأصوات.

٤- الكتاب، لأبي بِشر سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، (ت ١٨٠هـ)، وأورد الدرس الصوتي في باب الإدغام، ووصف مخارج الحروف وصفاتها بطريقة تطبيقية امتزج فيها المأخذ الصرفي، والأداء الموسيقي، وما تعلمه من شيخه الخليل، مع تغاير طفيف في تحديد المخارج، ثم قال: "وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك"٣٩.

٥- كتاب الحروف لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ)،٤٠ وهو كتاب مفقود.

٦- كتاب الحروف للنضر بن التميمي البصري (٢٠٣هـ)، وهو رسالة بين فيها مواقع ورود كل حرف في كلام العرب، غير أنه لم يذكر فيها ما يختص بالأصوات، إذ هي رسالة وجيزة، وهي مطبوعة في آخر كتاب البلغة في شذور اللغة، وهي مجموعة مقالات لغوية لأئمة كتَبَة العرب، نشرها الدكتور أوغست هفنر والأب شيخو اليسوعي٤١.

٧- المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد الأزدي المعروف بالمبرّد (ت٢٨٥هـ)، فقد ذكر مخارج الحروف وصفاتها في أبواب الإدغام، كقوله: "ويعارضها الضاد ومخرجها من الشِدق فبعض الناس تجرِي له في الأيمن وبعضهم تجرِي له في الأيسر وتخرج اللام من حروف اللسان معارضا لأصول الثنايا والرباعيات وهو الحرف المنحرف المشارك لأكثر الحروف"٤٢.

٨- كتاب الحروف لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي البصري، (٣٢١هـ)، وهو مفقود، إلا أن مقدمته لكتابه الجمهرة تعتبر أحد روافد الدرس الصوتي عند المتقدمين، كقوله: "اعلم أن الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الأسماء والأفعال والحركات والأصوات تسعة وعشرون حرفا مرجعهن إلى ثمانية وعشرين حرفا، منها حرفان مختص بهما العرب دون الخلق، وهما الظاء والحاء"٤٣.

٩- سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، وهو الكتاب الوحيد الذي لا يبعد إذا قيل هو قطب الرحى في علم الأصوات عند العرب، الحاوي للقواعد الكبرى في للدرس الصوتي التطبيقي، بل ابن جني أول من سماه علما مستقلا فقال: " أعني علم الأصوات والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم"٤٤. ونص على أمهات القواعد فيه كقوله: "ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها، التي هي أسباب تباين أصدائها، ما شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا، كما يجري الصوت في الألف غفلا بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوح بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم، باعتماد على جهات مختلفة، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة"٤٥، وهو حري أن يقول فيه مؤلفه: "وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض، ولا أشبعه هذا الإشباع"٤٦.

١٠- أسباب حدوث الحروف لأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا (ت٤٢٨هـ)، وهي رسالة تلي في الفائدة كتاب ابن جني السابق، وتفوقه من حيث علم الطب والتشريح والكيميا، لأن ابن سينا أبدع في تفسير خروج الحروف وأسبابها، كقوله: "والحرف هيئة للصوت عارضة له، يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزا في المسموع"٤٧.

١١- كتاب الحروف لأبي العباس أحمد بن محمد بن المظفر الرازي (ت٦٣٠هـ)، وهو كتب خليق بالدراسة، مشتمل على مخارج الحروف وصفاتها مع ربطه علم الأصوات بأصل استعمال كل حرف، وإيراد بعض المُلَح والمستطرفات، كما أدرج فيه رسالة الخليل المتقدم ذكرها٤٨.

وليس الغرض هنا جرد الأسماء


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤلفة في الحروف، وإنما التي بحثت الدرس الصوتي، لأن الجرد الاعتباطي للمؤلفات ليس هو الغرض من هذا البحث، لاسيما وأن كثيرا من عناوين الكتب توهم تناولها للصفات الحروف، محروف المعاني والصفات لأبي القاسم الزجاجي، والحروف لأبي الحسن المزني، ومنازل الحروف لأبي الحسن الرماني، وكتاب الحروف لأبي نصر الفارابي٤٩، والأُزهية في علم الحروف، لأبي الحسن الهروي، وغيرها.

وتعدّ كتب القراءات والتجويد أعظم مورد للدرس الصوتي عند المتقدمين، إلا أن الالتزام بحجم البحث يجعلني مضطرا للاكتفاء بأهم كتب التجويد التي أفادت وأجادت في الدراسات الصوتية، مكتفيا بأحسنها ترتيبا، وأجودها تبويبا، وهي عند القراء والمجودين من العُمد التي لا يستغنى عنها:

١٢- التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، لأبي الحسن السّعيدي (ت٤١٠هـ) ٥٠.

١٣- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لأبي محمد مكّي القيسي (ت٤٣٧هـ) ٥١.

١٤- التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ) ٥٢، كما أن الأرجوزة المنبهة له قد تضمنت هذا العلم من باب "القول في الترتيل" إلى نهايتها، أي من البيت ٦١١ إلى البيت ١٣١١.

١٥- المُوضِح في التجويد، لأبي القاسم عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت٤٦١) ٥٣.

١٦- الكامل في القراءات الخمسين، لأبي القاسم يوسف بن علي بن جُبارة الهذلي المغربي، (ت٤٥٦هـ) ٥٤، ضمّنه كتاب التجويد، إذ يقول: «اعلم أن التجويد مبني على ما رُوي عن عليٍ بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه لما سُئل عن قوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾، قال: الترتيل: معرفة الوقوف وتجويد الحروف، ... فترتيب الحروف مراتبها وردها إلى مخارجها وأصولها، وإلحاقها بنظائرها، وأشكالها، وأشياعها، ولطف النطق بها وتمكينها»٥٥.

١٧- التجريد في التجويد، لأبي علي الحسن ابن البناء٥٦ البغدادي (ت٤٧١هـ)، واختصر المهم منه بكتابه المطبوع باسم: "بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء"، قال: «فإنّك لما رأيتَ كتاب التجريد في التجويد، واستحسنتَ أصولَه وفصوله، أحببتُ إتباعَه بمختصرٍ في معايب ألفاظ يتكلّفها كثيرٌ من القراء على غير أصْلٍ ولا هي داخلةٌ في حدّ تجويد ولا ترتيل»٥٧. ولا يفوت التنبيه على أن بعض كبار الفقهاء في القرن الخامس صنّفوا أيضا في هذا العلم، من أشهرهم الحافظ ابن عبد البر المالكي (ت٤٦٣هـ)، حيث قال في الاستذكار: «وقد أفردنا لهذا المعنى كتابًا أسميناه كتاب البيان عن تلاوة القرآن، واستوعبنا فيه القول والآثار في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، ومعنى الهذ والترتيل والحدر، وأي ذلك أفضل، والقول في قراءة القرآن بالألحان، ومن كره ذلك ومن أجازه، وما روي في صوت داود صلى الله عليه وسلم، وما جاء من هذه المعاني فيه شفاء في معناه والحمد لله»٥٨.

أما ما بعد القرن الخامس فنكتفي بإيراد الأهم والأشهر في كل قرن إلى العصر الحالي مع الاقتصار على ما طُبع:

١٨- التمهيد في معرفة التجويد، لأبي العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمَذاني (ت٥٦٩هـ) ٥٩، وهو أوسع كتاب مقارنة بالمصنّفات السابقة، مع تميّزه بإيراد الأحاديث بأسانيد المصنّف نفسه، وعناية تامة بالرواة وطرق تخريج مروياتهم، وجودة في الترتيب، فقد قسمه إلى عشرة أبواب إضافة إلى مقدمته الطويلة في رواية الأحاديث المندرجة ضمن فضائل القرآن وحمَلته. ومن أولى الملاحظات تأكيدُه على جلالة هذا العلم، وأنه بحاجة إلى مراس وطول دربة، فقال رحمه الله: «اعلم أيها السائل أنّ هذا القبيل من أشرف علوم القرآن، وأكرمِها، وأعلاها، وألطفها، غيرَ أنه مع ذلك مُغْفَلٌ مسهوٌّ عنه، لاعتياصه على كثير من الأشياخ والمبرّزين، فضلاً عن الأحداث المبتدئين، وقد ورد في نص التنزيل من فضيلة الترتيل، وجاء في الصحاح من الأخبار والآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته النجباء الأخيار ما يُوجِب على القرّاء العنايةَ في طلَبه، وكَدَّ الأبدان في سببه»٦٠.

١٩- جمال القراء وكمال الإقراء، لأبي الحسن عَلَم الدين علي بن محمد

السخاوي (ت٦٤٣هـ) ٦١، وهو كتاب جمٌّ كثير الفوائد، أوسع مما سبقه.

٢٠- عقود الْجُمان في تجويد القرآن، لأبي محمد إبراهيم بن عمر الجعبري (ت٧٣٢هـ) ٦٢، وقد صنّف غيرها في ذات العلم، مثل: القيود الواضحة في تجويد الفاتحة، وحدود الإتقان في تجويد القرآن، وهو نظم مختصر لعقود الجمان، وكان رحمه الله من المكثرين في التأليف في علوم شتّى. وعقود الجمان منظومة نونية من بحر الكامل (٨٢٥بيتًا)، نصّ الجعبري على أنّها حوت بعض الكتب السابقة منها: الرعاية لمكّي والتمهيد للعطار فقال:«

**تُغني عن الكُتُب الطّوال ولفْظُها السّـ**
**ـحْرُ الْحَلالُ حَلاَ رقيقَ معانِ**
**حَـوَت الرعَـايةَ ثَمَّ تَـجْـريداً وتَمْـ**
**ـهِيداً وتَـنبيهًا عَـــدَا أَفْـنَانِ»٦٣.**

٢١- التمهيد في علم التجويد، لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد المشهور بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ٦٤، وهو إمام المحققين في عصره بلا منازع، وذكر سبب تأليفه لكتاب التمهيد فقال: «ولما رأيت الناشئين من قراء هذا الزمان وكثيرا من منتهيهم قد غفلوا عن تجويد ألفاظهم، وأهملوا تصفيتَها من كدره، وتخليصها من درنه، رأيت الحاجة داعيةً إلى تأليف مختصر أبتكر فيه مقالا يهز عطف الفاتر، ويضمن غرض الماهر، ويسعف أمل الراغب، ويؤنس وسادة العالم، ...»٦٥. واكتفى الناس في الغالب بعد ابن الجزري بشرح أرجوزته المقدمة، لتعلق هذا الإمام بعلم القراءات إسناداً وإفادة، وبالتجويد تحقيقاً وإقراءً، حتى عسر حصر الشروح والحواشي على مؤلفات ابن الجزري، مثل الدرة، والطيبة، والمقدمة.

٢٢- الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، لشيخ الإسلام أبي يحيى زكريا بن محمد بن محمود الأنصاري (ت٩٢٦هـ) ٦٦.

٢٣- المنح الفكرية على متن الجزرية، لنور الدين ملاّ علي بن سلطان محمد القاري الهروي (ت١٠١٤هـ) ٦٧.

٢٤- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، لأبي الحسن علي بن محمد بن سالم النوري الصفاقسي (ت١١١٨هـ) ٦٨، وهو كتاب نافع في بابه، امتاز بالتنبيه على قضية التلقّي وعدم الاقتصار على الأخذ من الكتب، لأنّ التجويد وصل «إلينا مسلسلا متواترا، عَلِمَ عِلْمَ يقين أن من اجتزأ من الكتب واتّكل على فهمه وعِلمه فقد أساء، وخالف وابتدع، وربّما وقع في أمر عظيم، وخطر جسيم، نسأله سبحانه التوفيق والعافية، وسلوك سواء السبيل، وقد نص على هذا الإمام المحقق أحمد القسطلاني، ونقل عن البرماوي والكرماني أن فائدة مدارسة النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل القرآن كل سنة تعليمه تجويد لفظه وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها، وليكون في حق الأمة لتجويد التلامذة على الشيوخ قراءتهم»٦٩.

٢٥- جهد المقل، لمحمد بن أبي بكر ساجقلي زاده المرعشي (ت١١٥٠هـ) ٧٠.

٢٦- خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة في علم التجويد، لحسن بن إسماعيل الدركزلي الحبّار الموصلي (ت١٣٢٧هـ) ٧١.

٢٧- أحكام قراءة القرآن الكريم، لشيخ المقارئ المصرية محمود خليل الحصري (ت١٤٠١هـ).

وعرف هذا الفن تطوراً وتفريعا لمباحثه ومسائله، إذ بدأ بدراسة مخارج الحروف، ثم لحقته دراسة الحروف حرفا حرفاً بما لكل حرف من الصفات وما يطرأ عليه من اللحن الجلي والخفي، ثم لحقته أبواب أخرى شملت جميع مسائل تلاوة القرآن وإقرائه كالوقف والابتداء، والمدود، ومراتب القراءة، ورسم المصحف، وغيرها، إلى أن وصل التجويد في العصر الراهن إلى تصوير المخارج، بل إلى تسجيل مسائل التجويد صوتاً وصورةً لتحصيل تلقّيها عن القراء المتقنين.

## خاتمة

تحققتْ بالدرس الصوتي عند العرب محمدة الترابط بين الفنون العقلية والتطبيقية والروحية والسماعية، وطرقتْه عقولٌ جبارة فتحتْ المستغلقات التي طالما تناولها الفلاسفة على استحياء، ورام اكتشافها الأطباء في علوم الأحياء، ولعل تصريح المستشرق الألماني برجشتراسر بأن العرب كانوا سباقين ٧٢ إلى الدراسات الصوتية نبّع من استقراء تام وحتمية قاطعة، لأنّ شساعة اللسان العربي وعوائد مجتمعه التي تميزتْ بأبواب الكلام الغنيّة بالفكر والإبداع (الشعر والخطابة والجدل) لا ريب في كونها أقطاب الدراسات الفلسفية، علاوة على


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

استقطابها محامد الفخر والحسب والأبّهة المرتبطة بأيام العرب.

وعندما نزل القرآن وأحيط بقانون التلقّي المجرد؛ واكبتْه صيانة العلماء من النحاة واللغويين والقراء بدراساتهم الصوتية التي لم تخرج عن منهجية الاستقراء والراوية من جهة، وأسلوب الاستنباط والتحليل من جهة أخرى، خادمين في ذلك اللسان العربي بشكل عام، والعلوم الشرعية بشكل خاص، ويمكن استجلاء الجهود القديمة للعلماء في الدرس الصوتي بالنقاط التالية، مع اعتبارها مجموعة من الحلول الناهضة بالجانب الصوتي، وكاشفة عن علل النطق التي عالجها اللغويون:

- العلوم اللغوية يخدم بعضها بعضا، وخاصية الصوت الإنساني هي وسيلة تنزيل كافة الفنون من العدم إلى الوجود.
- الدرس الصوتي هو من ركائز أيام العرب رواية وتلقيناً لا سيما في صقل المَلَكة الشعرية التي تتطلب قوة القريحة، وعمق الفهم، وانتقاء الألفاظ، دون تعريضها للابتذال والسخف.
- ارتبطت الدراسات الصوتية بالمرونة في توظيف المفردات، وحكاية اللغات واللهجات، وتعريب ما يعتاص على السامع والمتكلّم، ولذا كان من المستحيل الإحاطة بهذا اللسان، حتى إن القرآن الكريم قد نزل على سبعة أحرف رحمةً بالأمة التي لا حد للهجاتها وتنوّع أدائها للصوامت والصوائت.
- دقةُ المعلومات التي تضمّنتْها الدراسات القديمة لخاصية الصوت الإنساني في شقها التطبيقي سواء تعلق الأمر بتشريح الجهاز الصوتي وفرز دور كل عضوٍ منه، كل ذلك يشهد بأن العرب قد مارسوا الطب في حضاراتهم وأفادوا واستفادوا من أمم أخرى.
- وضع قوانين الطرب والغناء والحداء هو من ثمرات الدراسات الصوتية المتعلقة بالشعر، ولولا الخليل لضاعت كثير من مذاهب العرب في أنماط ترانيمها.
- التأثير والتأثر بين لغات العالم قائمان لا مناص منهما، لأن الحياة الاجتماعية المشتركة بين البشر تُلجئ إلى الملاءمات اللغوية، ويظل الدرس الصوتي مشتركا لا لبس فيه عند سائر الناس.
- الدرس الصوتي عند المتقدمين غني بالمباحث التي لم تطرق بعدُ، كالعلاقة بين أعضاء النطق والسمع والصوت والصمم والبكم، وطريقة التنغيم عند العرب الأول، وعلاقة علم التصريف بالصوت مدّا وقصرا، واستقراء الأصوات الزائدة على التسعة والعشرين حرفا، وأسرار الكتابة وصورة الكلمة.
- عالج اللغويون في الدراسات الصوتية طائفة مما تمجّه العرب لاسيما في الأداء، وألمحوا إلى سبيل التقويم، وحري بكلّ طامعٍ في المكْنة أن يفهم مثل قول الجاحظ: " إن صاحب التشديق والتقعير والتقعيب من الخطباء والبلغاء مع سماجة التكلف، وشنعة التزيد، أعذر من عييّ يتكلف الخطابة، ومن حصر يتعرض لأهل الاعتياد والدربة، ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف، وبيانا يمازجه التزيد. إلا أن تعاطي الحصر المنقوص مقام الدرب التام، أقبح من تعاطي البليغ الخطيب، ومن تشادق الأعرابي القح وانتحال المعروف ببعض الغزارة في المعاني والألفاظ، وفي التحبير والارتجال، إنه البحر الذي لا ينزح، والغمر الذي لا يسبر، أيسر من انتحال الحصر المنخوب إنه في مسلاخ التام الموفر، والجامع المحكك"٧٣.
- نبه الأئمة القراء في دراساتهم الصوتية إلى إدمان التلقّي، وهو أهم الوسائل الناجحة في هذا العصر لو تمت العناية به، إذ الملاحظ أن الطلبة في المدارس والجامعات يظفرون بالدرجات العالية في اختبارات دروس النحو والتصريف والبلاغة والشعر والتجويد وغيرها، بينما نجد أداءهم الصوتي لا يتناسب ودرجاتهم المرتفعة، وينبغي عدم قصْر التلقي على القرآن فحسب، بل التلقي مفهوم يجب استصحابُه في عموم الأداء، سواء كان قصيدة أو مسرحية أو خطبة.


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

# قائمة المراجع والإحالات

١ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ج١، ص٣٣، بتصرف.

٢ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، ١٩٧٥م، ص٨.

٣ جوزيف فندريس Joseph Vendryes (المتوفى: ١٣٨٠هـ)، تعريب: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠ م، القاهرة، ص٢٩٥.

٤ أحمد مختار عمر، أسس علم اللغة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٩٨م، ص١٤٢.

٥ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٧م، ص١٠.

٦ تمام حسان عمر اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٤٧.

٧ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥م، ص١٢.

٨ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٧م، ص٢٣.

٩ محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة الطبعة: ط٢، ١٩٩٧م، ص٩.

١٠ أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضة التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م، ص٦١.

١١ محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص٧٥.

١٢ البحث اللغوي، ص٦٤.

١٣ البحث اللغوي، ص٧٣.

١٤ عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، القاهرة، ط٩، ٢٠١١م، ص٣٧.

١٥ محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص٧٧.

١٦ ابن النديم، الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي، (ت ٤٣٨هـ)، تحقبق، إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م، ص٣١١.

١٧ عنترة بن شداد، ديوان عنترة بن شداد، شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي، تحقيق: مجيد طراد، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩٢م، ص١٩٩.

١٨ عبد يغوث بن صلاءة، المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (ت ١٦٨هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٤٢م، ص١٥٨.

١٩ محمد بن إدريس الشافعي، (ت٢٠٤هـ)، ديوان الإمام الشافعي، إعداد: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، دت، ص١٠٤.

٢٠ الدكتور جواد علي (ت ١٤٠٨هـ)، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت، ط٤، ٢٠٠١م، ج٩، ص١١٢، ١٢٠، بتصرف يسير.

٢١ الدكتور جواد علي (ت ١٤٠٨هـ)، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١٧، ص٥٩، بتصرف يسير.

٢٢ إبراهيم محمد أبو سكين، دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة، دت، ص٥١.

٢٣ أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، (ت ٤٢٧هـ)، الحيوان، كتاب الشفاء، قسم الطبيعيات، تحقيق: عبد الحليم المنتصر وآخرين، الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف، ج٣، ص٦٣، ٦٤.

٢٤ أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، (ت ٤٢٧هـ)، القانون في الطب، تحقيق: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م، ج٢، ص٣٠١-٣٢٤.

٢٥ أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الأسدآبادي، (ت٤١٥هـ)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق: خضر نبها، الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، ج٤، ص٢٠٤.

٢٦ قال: والقادر لا يحتاج إلى جوراح ولا إلى لهوات وكذلك لهُ صوت كما يليق به يسمع ولا يفتقر ذلك الصّوت المُقدّس إلى الحلق والحنجرة كلام الله


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

تعالى كما يليق به وصوته كما يليق به ولا ننفي الحرف ولا الصّوت عن كلامه سُبحانهُ لافتقارهما منا إلى الجوارح واللهوات فإنّهُما من جناب الحق تعالى لا يفتقران إلى ذلك، الكتاب: رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد

انظر: عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيّويه الجويني، (ت ٤٣٨هـ)، تحقيق: أحمد معاذ بن علوان حقي، طبعة دار طويق للنشر والتوزيع – الرياض، ط١، ١٩٩٨م، ص٧٨.

٢٧ قال: وأما الصوت: فقد زعموا أنه لا يخرج إلا من هواء١ بين جرمين وذلك لا يجوز وجوده من ذات الله تعالى. انظر: عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ الوائلي البكري، أبو نصر (ت ٤٤٤هـ)، رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، تحقيق: محمد با كريم با عبد الله، طبعة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ٢٠٠٢م، ص٢٤٠.

٢٨ أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الأسدآبادي، (ت٤١٥هـ)، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، القاهرة، مكتبة وهبة، ط٣، ١٩٩٦م، ص٥٢٨-٥٢٩.

٢٩ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، (ت ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبعة مكتبة المثنى، بغداد، ودار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٤١م، ج١، ص٦٥٠.

٣٠ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، طبعة دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٩٩٢م، ج١، ص٤٩٦.

والبوني هو تقي الدين أحمد بن علي بن يوسف أبو العباس البوني (٦٢٢هـ)، أشهر المصنفين في العلوم الخفية، وهو صاحب كتاب"كتاب الحروف والعدد وخواصها"، وممن ألف في ذلك ابن سبعين عبد الحق بن إبراهيم الإشبيلي، (ت٦٦٩هـ)كتابه الحروف الوضعية في الصور الفلكية.

٣١ ابن برجان، عبد السلام بن عبد الرحمن اللخمي الإشبيلي، (ت٥٣٦هـ)، تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م، ج٤، ص٣٢٥.

٣٢ الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس المطلبي (ت ٢٠٤هـ)، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، طبعة: مكتبه الحلبي، مصر، ط١، ١٩٤٠م، ص٣٤.

٣٣ وقد يجد الباحث كتبا باسم كتاب الحروف غير أنها في شرح الكلمات لا هي في الأصوات ولا هي في الكلام عن حروف المباني مثل كتاب الجيم لأبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (٢٠٥هـ)، حققه إبراهيم الإبياري، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٤م، وكذلك الشأن بالنسبة لكتاب الحروف لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت الأهوازي (ت٢٤٤هـ).

٣٤ أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير الخزرجي، (ت٢١٥هـ)، كتاب الهمز، نشره الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٠م، ص٤،

٣٥ الخليل، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، طبعة دار ومكتبة الهلال، دت، ج١، ص٥٨.

٣٦ الخليل، العين، ج٣، ص٣١٦.

٣٧ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (١٧٥هـ)، كتاب الحروف، تحقيق: رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٨٢م، ص٣٤.

٣٨ المصدر نفسه، ص٤٣.

٣٩ الكتاب، سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون طبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨ م، ج٤، ص٤٣٦. ومما أفاد سيبويه الدرس الصوتي هو حصر الحروف الأصول، وإيراد المولّدات عليها كقوله: ج٤، ص٤٣٢: وتكون خمسةً وثلاثين حرفا بحروفٍ هن فروعٌ، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرةٌ يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالةً شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم، يعنى بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة. وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنةٍ ولا كثيرةٍ في لغة من ترتضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

ولا في الشعر؛ وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء. وهذه الحروف التي تمتنها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة، إلا أن الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف، لأنها من حافة اللسان مطبقةٌ، لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه.

٤٠ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ج٢، ص١٦٤.

٤١ البلغة في شذور اللغة، نشره الدكتور أوغست هفنر والأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٤م، ص١٦٣.

٤٢ المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، (ت ٢٨٥هـ)، المقتضب تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، طبعة عالم الكتب، بيروت، دت، ج١، ص١٩٣.

٤٣ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ج١، ٤١.

٤٤ ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، سر صناعة الإعراب، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج١، ص٢٢.

٤٥ المصدر نفسه ج١، ص٢١-٢٢.

٤٦ المصدر نفسه ج١، ص٧٠.

٤٧ ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (ت٤٢٨هـ)، أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٢م، ط١، ص ٦٠.

٤٨ ابن المظفر الرازي، أبو العباس أحمد بن محمد بن المظفر الرازي (ت٦٣٠هـ)، كتاب الحروف، تحقيق: رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٨٢م، ص١٤١.

٤٩ وهو كتاب مطبوع (دار المشرق) بتحقيق محسن مهدي، خاض فيه الفارابي جملة من المباحث الفلسفية كالمقولات وأسمائها، والألفاظ وأشكالها، والنسبة والإضافة والعرض والجوهر.

٥٠ ترجم له ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء: ج١، ص ٥٢٩ بقوله: علي بن جعفر بن سعيد أبو الحسن السعيدي الرازي الحذاء نزيل شيراز أستاذ معروف، قرأ على أبي بكر النقاش وأحمد بن نصر الشذائي والحسن بن سعيد المطوعي وأحمد بن العباس بن الإمام ومحمد بن أحمد بن إبراهيم المكي، قرأ عليه محمد بن علي النوشجاني وعلي بن الحسن النسوي، ونصر بن عبد العزيز الشيرازي في سنة اثنتين وأربعمائة وكان شيخ أهل فارس، وله مصنف في القراءات الثمان وجزءًا في التجويد رويناه، لا أدري متى مات إلا أنه بقي إلى حدود العشر وأربعمائة.

٥١ ترجم له الذهبي في كتابه معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ص: ٢٢٠ بما ملخصه: مكي بن أبي طالب واسم أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الإمام، أبو محمد القيسي المغربي، القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، العلامة المقرئ. ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة بالقيروان، وحج وسمع بمكة من أحمد بن فراس، وأبي القاسم عبيد الله السقطي، وبالقيروان من أبي محمد بن أبي زيد، والقابسي. وقرأ القراءات على أبي الطيب بن غلبون، وابنه طاهر، وأبي عدي عبد العزيز.

٥٢ ترجم له ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء ج١ص ٥٠٣ بما خلاصته: عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد، أبو عمرو الداني الأموي المعروف في زمانه بابن الصيرفي الإمام العلامة الحافظ أستاذ الأستاذين وشيخ مشايخ المقرئين، ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، أخذ القراءات عرضًا ابن خاقان وابن غلبون والفارسي وأبي الفتح فارس وروى كتاب السبعة لابن مجاهد سماعًا. وكان مجاب الدعوة مالكي المذهب، ومن نظر كتبه علم مقدار الرجل وما وهبه الله تعالى فيه فسبحان الفتاح العليم.

٥٣ ترجم له ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء ج١ ص ٤٨٢ بقوله: عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد القدوس أبو القاسم القرطبي مقرئ محرر أستاذ كامل متقن كبير رحال صاحب كتاب المفتاح في القراءات، رحل وقرأ على أبي علي الأهوازي بدمشق وعلى أبي القاسم الزبدي بحران وعلى أحمد بن نفيس بمصر وعلى الكارزيني بمكة، قرأ عليه أبو القاسم خلف بن النحاس وعلي بن أحمد بن كرز وأبو

الحسن يحيى بن البياز، قال أبو عبد الله الحافظ كان عجبًا في تحرير هذا الشأن ومعرفة فنونه وقال ابن بشكوال كانت الرحلة إليه في وقته، ولد سنة ثلاث وأربعمائة ومات في ذي القعدة سنة إحدى وستين وأربعمائة.

٥٤ ترجم له ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء ج٢ص ٣٩٧ بما خلاصته: يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سوادة، أبو القاسم الهذلي اليشكري الأستاذ الكبير الرحال والعلم الشهير الجوال، ولد في حدود التسعين وثلاثمائة وطاف البلاد في طلب القراءات فلا أعلم أحدا في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته ولا لقي من لقي من الشيوخ، قال في كتابه الكامل: فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخًا من آخر المغرب إلى باب فرغانة يمينا وشمالا وجبلا وبحرا، ولو علمت أحدا تقدم عليّ في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته، مات الهذلي سنة خمس وستين وأربعمائة.

٥٥ الهذلي، أبو القاسم يوسف بن علي بن جُبارة، الكامل في القراءات، تحقيق: جمال سيد رفاعي، طبعة سما للتوزيع والنشر، ٢٠٠٧م، ج١، ص٩٣.

٥٦ ترجم له الذهبي في معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ص: ٢٤٢ بما خلاصته: أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله ابن البناء البغدادي الحنبلي، الفقيه المقرئ، المحدث، صاحب التصانيف. قرأ القراءات على أبي الحسن الحمامي، وسمع من هلال الحفار، وأبي الفتح بن أبي الفوارس، وابن رزقويه، وجماعة. قرأ عليه بالروايات مثل أبي عبد الله البارع، وأبي العز القلانسي، وهو من قدماء تلامذة القاضي أبي يعلي بن الفراء. وكانت له حلقتان للفتوى، والوعظ. توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ببغداد.

٥٧ ابن البناء، أبو علي الحسن بن أحمد، بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، ٢٠٠١م، ص٣٥.

٥٨ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، الاستذكار، تحقيق: سالم عطا ومعوض، الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٤٧٨، وأشار إليه في التمهيد ج٦، ص٢٢٢، وج١٨، ١٤٨، وج٢٣، ص٢٢٣.

٥٩ ترجم له ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء، ج١ص٢٠٤ بما خلاصته: الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل، الإمام الحافظ الأستاذ أبو العلاء الهمذاني العطار، شيخ همذان، وإمام العراقيين، ومؤلف كتاب الغاية في القراءات العشر، وأحد حفاظ العصر، ثقة دين خير كبير القدر، اعتنى بهذا الفن أتم عناية، وألف فيه أحسن كتب، كالوقف والابتداء، والماءات، والتجويد، وأفرد قراءات الأئمة أيضًا، كل مفردة في مجلد، وألف كتاب الانتصار في معرفة قراء المدن والأمصار، ومن وقف على مؤلفاته علم جلالة قدره، وعندي أنه في المشارقة كأبي عمرو الداني في المغاربة، بل هذا أوسع رواية منه بكثير، مع أنه في غالب مؤلفاته اقتفى أثره وسلك طريقه، توفي في تاسع عشر جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمائة.

٦٠ العطار، أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني، التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق: جمال الدين ومجدي، دار الصحابة، ٢٠٠٥، ص١١.

٦١ ترجم له الذهبي في معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص: ٣٤٠) بما خلاصته: علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن غطاس الإمام علم الدين، أبو الحسن الهمداني السخاوي، المقرئ المفسر النحوي، شيخ القراء بدمشق في زمانه. ولد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وقدم من سخا فسمع من السلفي، وأبي الطاهر بن عوف، وبمصر من أبي الجيوش عساكر بن علي، وغيرهم، وأخذ القراءات عن أبي القاسم الشاطبي، وأبي الجود اللخمي، وأبي الفضل الغزنوي، وغيرهم. وكان إماما كاملا ومقرئا محققا.

٦٢ ترجم له تلميذه الذهبي في معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص: ٣٩٧) فقال: إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الشيخ الإمام العالم، المقرئ الأستاذ برهان الدين، أبو إسحاق الجعبري، شيخ بلد الخليل عليه السلام، من بضع وعشرين سنة. له شرح كبير للشاطبية كامل في معناه، وشرح للرائية، وقصيدة لامية في القراءات العشر، قرأتها عليه، وأخرى في الرسم، وأخرى في العدد، تخرج به جماعة. توفي سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة في شهر رمضان ببلد الخليل.

٦٣ الجعبري، أبو إسحاق إبراهيم بن عمر، عقود الجمان في تجويد القرآن، تحقيق مكتب قرطبة للبحث العلمي، ص٢٥.

٦٤ ترجم له الزركلي في الأعلام للزركلي ج٧ص ٤٥: بما خلاصته: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمري الدمشقيّ ثم الشيرازي الشافعيّ، الشهير بابن الجزري، نسبته إلى جزيرة ابن عمر، شيخ الإقراء في زمانه. من حفاظ الحديث. ولد ونشأ في دمشق، وابتنى فيها مدرسة سماها (دار القرآن) ورحل إلى مصر مرارا، ودخل بلاد الروم، وسافر مع تيمورلنك إلى ما وراء النهر. ثم رحل إلى شيراز فولي قضاءها. ومات فيها سنة (٨٣٣هـ).


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

٦٥ ابن الجزري، أبو الخير محمد بن الجزري، التمهيد، ص٤٠.

٦٦ ترجم له ابن العماد في شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج١٠ص١٨٦ بما خلاصته: شيخ الإسلام قاضي القضاة زين الدّين الحافظ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي ثم القاهري الأزهري الشافعي. أخذ عنه القاياتي والعلم البلقيني والشّرف السّبكي والشّموس الوفائي، والحجازي، والحافظ ابن حجر، وآخرون. ألّف ما لا يحصى كثرة، وله الباع الطويل في كلّ فنّ. وتوفي- رحمه الله تعالى- يوم الجمعة رابع ذي الحجّة بالقاهرة، ودفن بالقرافة بالقرب من الإمام الشافعي رضي الله عنه، عاش مائة وثلاث سنين.

٦٧ ترجم له المحبّي في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ج٣ص ١٨٥ بما خلاصته: على بن محمد سلطان الهروى المعروف بالقارى الحنفى نزيل مكة وأحد صدور العلم فَردُ عصره الباهر السمت فى التحقيق وتنقيح العبارات. وشهرته كافية عن الاطراء فى وصفه، ولد بهراة ورحل الى مكة. أخذ بها عن الاستاذ أبى الحسن البكرى والشهاب أحمد بن حجر الهيتمى والشيخ عبد الله السندى وغيرهم. واشتهر ذكره وطار صيته وألف التآليف الكثيرة، وكانت وفاته بمكة فى شوّال سنة أربع عشرة وألف ودفن بالمعلاة، ولما بلغ خبر وفاته علماء مصر صلوا عليه بجامع الازهر صلاة الْغَيْبَة فى مجمع حافل يجمع أربعة آلاف نسمة فَأَكْثر.

٦٨ ترجم له عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس ج٢ص ٦٧٣ بما خلاصته: هو العلاّمة الواسع العارضة محيي السنن وعلم القراءات بالقطر التونسي، أبو الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي صاحب كتاب " غيث النفع في القراءات السبع " ولد بصفاقس سنة ١٠٥٣ ونشأ بها، ورحل إلى تونس فأخذ عن أهلها، ثم رحل إلى مصر فكمل بها علومه، ثم عاد إلى مسقط رأسه وانقطع لبثّ العلم والإرشاد وإحياء السنّة، حتى صار فريد العصر ورحلة الدهر، وانتفع به أمم من المقيمين والواردين إلى أن مات بها سنة ١١١٨.

٦٩ الصفاقسي، أبو الحسن علي بن محمد بن سالم النوري، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، طبعة مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله بتونس، ١٩٧٤م، ص٣٠و٣١.

٧٠ ترجم له إسماعيل البغدادي في هدية العارفين ج٢ص ٣٢٢ بما خلاصته: ساجقلي زاده محمد بن أبى بكر المرعشي المعروف بساجقلي زاده الصوفى الحنفي المدرس والامام في جامع دمشق أخذ الطريقة عن الشيخ عبد الغنى النابلسي توفى سنة ١١٥٠ خمسين ومائة والف. من تصانيفه. تحرير التقرير في المناظرة. ترتيب العلوم.تسهيل الفرائض.تقرير القوانين في آداب البحث.توضيح زبدة المناظر.جامع الكنوز.جهد المقل. حاشية، وغيرها كثير.

٧١ أبو عبد الله حسن بن إسماعيل بن عبد الله الدركزلي الحبار الموصلي (١٣٢٧هـ)، حقق كتابه خلف حسين صالح الجبوري بإشراف الدكتور غانم قدوري الحمد، في جامعة تكريت، وقد طبع كتابه مرتين.

٧٢ برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وعلق عليه رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٤م، ص٥.

٧٣ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، طبعة دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ج١، ص٣٦.


ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2